جامعة الأزهر
حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالشرقية

النهي المراد منه النهي عن لازمه ودلالته البلاغية

إعداد
الدكتـــور/ لطفي خالد محمود الجوهري
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية

العـدد الرابـع
للعـام ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، الذي لا ننفك نستهدي بـه ونستعين، حمداً يبلغ غاية رضاه، ويعجز الكل عن إدراك كنهه ومداه.

والصلاة والسلام على هادي الأدباء ، ومعلم الفصحاء والبلغاء ، سيدنا محمد - ﷺ- رسول الله وخاتم الأنبياء ، وعلى آله المطهرين النجباء وأصحابه المقربين الأصفياء ، كلما سال مداد على ورق وانطلق لسان بالفصاحة فنطق .

وبعـــد :

فإن من أولى العلوم بالتعلم وأحقها بالدرس والتحفظ علم البلاغة ؛ لأن الهدف الذي تسعى إليه غاية الغايات ، وهو معرفة خالق هذا الكون عن طريق تعلم القرآن وفهمه ، ولا يتأتى ذلك بغير علم البلاغة و الفصاحة الذي نقف به على الأساليب التي يعبر بها أصحاب هذه اللغة الفذة عن أفكارهم ، وما يجيش في قلوبهم ، وما تنطوي عليه صدورهم .

ولا شكَّ في أن الله عز وجل – قد خصَّ اللغة العربية (لغة القرآن) و حباها بطاقات وقدرات لا توجد في أي لغة أخرى ، فالمتأمل تراكيبها يجدها غزيرة ومتعددة ومتنوعة ، يقول العلامة ابن جني : (وكلام العرب

كثير الانحرافات ، ولطيف المقاصد والجهات ، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيه)[1].

ومن بين هذه التراكيب ذات التثني المعجب والانحراف الرائق ما بصدده هذا البحث ، وهو (النهي عن الشيء للنهي عن لازمه) ، والبحث في هذه المسألة يجلي أمام الأعين دقة هذه اللغة وثراءها ، وكيف لا ؟! وهذا التركيب موضع الدراسة لا يعدو أن يكون قطرة في بحر تراكيبها الطامي وغصناً لشجرة سامقة أصلها ثابت وفرعها في السماء .

أمّا عن الأسباب التي كانت وراء هذا البحث ، التي حدت بالباحث لخوض غماره فيمكن إجمالها فيما يلي :

١- ما أثار الباحث في مثل التركيب من دقة وخفاء .
٢- الوقوف على المعنى الكنائي الذي يدل عليه هذا التركيب .
٣- شيوع هذا التركيب وكثرته في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعره ونثره .
٤- الوقوف على ما يكمن وراء هذا التركيب من دلالات وإشارات .

هذا وقد جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة، وفهارس .

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جني الموصلي ٢ / ٦٨
وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
طبعة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

ففي **المقدمة** : بينت الأسباب التي كانت وراء دراسة هذا الموضوع ، وذكرت بها الخطة التي قامت عليها تلك الدراسة .

وفي **التمهيد** : عرفت النهي ، وذكرت صيغته وجهته ، وتحت أي لون من ألوان البيان يدخل هذا التركيب .

ثم تناولت المباحث الصور التي يرد عليها النهي عن الشيء للنهي عن لازمه ، وذلك في ثلاثة مباحث مرتبة كالآتي :

المبحث الأول : أن يكون المنهي عنه مما لا قدرة للمخاطب على اجتنابه .

المبحث الثاني : أن يكون النهي محولاً إلى غير المنهي مع عدم اقترانه بأمر آخر يراد النهي عنه .

المبحث الثالث : أن يكون النهي محولاً إلى غير المنهي مع اقترانه بأمر آخر يراد النهي عنه .

وفي الخاتمة : عرض لأهم النتائج التي تكون ثمرة لتلك الدراسة .

وفي الفهارس : (١) فهرس المصادر والمراجع .

(٢) فهرس الموضوعات .

هذا ـ " وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

وصَلَّ اللهم وسَلَّم وبارك على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ .

التمهيد

(أ) تعريف النهي : من المعروف لدى البلاغيين أن النهي هو : طلب الكف عن الفعل استعلاءً .[١]

(ب)صيغته : للنهي صيغة واحدة ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية في نحو : لا تفعل . [٢]

يقول ابن هشام : (الثاني من أوجه (لا) أن تكون موضوعة لطلب الترك ، وتختص بالدخول على المضارع ، وتقتضي جزمه واستقباله.)[٣]

(ج) جهتـــه:(١) الغالب في النهي والأكثر أن يوجه إلى المخاطب ، لأن الأصل أن يوجه إلى حاضر موجود ليكف عما يفعله من أمر مطلوب منه الانتهاء عنه.

مثل قول الله تعالى : ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[٤]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾[٥]

---

(١)مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لأبى العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي ١ / ٥١١ تحقيق د / خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ .
(٢)ينظر المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة / سعد الدين مسعود بن عمر التفتا زاني ص/ ٤٢٧ تحقيق د / عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ومواهب الفتاح ١ / ٥١١
(٣)مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ص / ٣٢٣ تحقيق د/ مازن المبارك و أ / محمد على حمد الله دار الفكر الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
(٤) سورة الممتحنة آية (١) .
(٥)سورة الإسراء آية (٣١) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾[1] (٢) وقد يوجه إلى الغائب، وهو قليل[2]، وذلك نحو قول الله –عز وجل-: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]، وجاء النهي موجهاً إلى الغائب هنا ؛ لأنه لما كانت موالاة الكفار والأعداء وكل من يتآمر على سلامة الأوطان أمراً مستسمجاً مستقبحاً ينكره الطبع، ولا يليق أن يواجه به الأصفياء والأولياء جاء موجهاً إلى الغائب [4].

ومن توجيه النهي للغائب أيضاً قول الله تعالى :﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[5] فالنداء للمخاطبين من بنى آدم ، والنهي موجه في اللفظ للشيطان ، وسوف يأتي الحديث عن هذا النهي ودلالته في موضعه من هذا البحث – إن شاء الله تعالى - .

---

(١)سورة الإسراء آية (١١٠) .

(٢)ينظر همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطي ٢ / ٥٤١ تحقيق د / عبد الحميد هنداوي المكتبة التوفيقية – مصر .

(٣)سورة آل عمران آية (٢٨) .

(٤)ينظر إعراب القرآن وبيانه المؤلف / محي الدين بن أحمد مصطفى درويش ١ / ٤٨٩ دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سوريا الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ .

(٥)سورة الأعراف آية (٢٨) .

(٣) وقد يوجه النهى إلى المتكلم ، وهو قليل أيضاً ، لأنه قلَّ أن تدخل (لا) الناهية ولام الأمر على فعل المتكلم [١] .

وذلك نحو قول القائل : لا أرينك ههنا

وما جاء من النهي كذلك فهو محول عن توجيهه إلى المخاطب، ولذا يقول الصبان معلقاً على قول الأشموني : نهي محول كما قالوا : لا أرينك ههنا .

(هو نهى محول عن إسناده للمخاطب إلى إسناده للمتكلم ، والأصل (لا تأتِ) فحول النهى عن الإتيان الذي هو سبب لرؤيته إلى المسبب الذي هو الرؤية .) [٢]

ومن ذلك أيضاً قول القائل : **لا أعرفنك تفعل كذا**

فالنهي موجه للمتكلم في اللفظ ، بينما هو في المعنى للمخاطب ، أي لا تفعل كذا فأعرفك به ، فحول النهي عن المخاطب إلى المتكلم . وسوف يأتي الحديث عن هذا اللون من النهي بالتفصيل في موضعه من هذا البحث – إن شاء الله تعالى - .

---

(١)ينظر شرح الكافية الشافية لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني أبو عبد الله جمال الدين ٣ / ١٥٦٨ تحقيق / عبد المنعم أحمد هريدي جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الطبعة الأولى .

(٢)حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ٣ / ٢١٩ دار الفكر .

(د) تحت أي ألوان البيان يدخل هذا اللون من النهي :

يعد هذا اللون من النهي (النهي المراد منه النهي عن لازمه) بجميع صوره التي ستأتي تباعاً– إن شاء الله تعالى– في مباحث هذا البحث -من قبيل الكناية ، و ذلك ؛ لأن قول القائل : لا أرينك ههنا

يراد به نهى المخاطب عن المجئ والحضور وذلك لازم لهذا النهي ، لأننا إذا دققنا النظر نجد أن المتكلم ينهى نفسه عن رؤية مخاطبه ، وليس ذلك مما يتعلق بفعل المخاطب حتى ينهى عنه ، ففهم من ذلك أن المتكلم يريد أن ينتقل من الملزوم وهو نهي النفس عن رؤية المخاطب ، إلى اللازم وهو نهى المخاطب عن الحضور أصلاً حتى لا يراه .

ولذا يقول الإمام الباقلانى شارحاً معنى هذا اللون من النهي : (وكذلك إذا قال القائل : لا أرينك ههنا ، ولا أسمع لك كلمة ، فإنما هي نهى عن الكون المرئي والكلام المسموع المتعلقين بقدرة المكلف ، وليسا بنهي عن رؤية الزاجر المتقوى وسمعه ، لأن ذلك ليس من مقدورات المخاطب الموجود .) [1]

هذا ، وقد نصَّ الإمام الألوسي على دخول هذا اللون من النهي تحت الكناية عند تفسيره لمعنى النهي في قول الله – عز وجل - : ﴿فَلَا يَكُن فِي

---

(١)الانتصار للقرآن للمؤلف / محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي ٢ / ٦٠٨ تحقيق د / محمد عصام القضاة دار ابن حزم – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ فقال : (عبر البعض باللزوم دون السببية ، وإن أراد أنه ليس من الكناية أصلاً فباطل ، نعم جُوِّز أن يكون من المجاز ، والمشهور أن الداعي لهذا التأويل أن الظاهر يستدعي نهي الحرج عن الكون في الصدر ، والحرج مما لا ينهى ، وله وجه وجيه فليفهم .) [1]

وبهذا فقد نصَّ الإمام الألوسى على دخول هذا النهي تحت الكناية ، كما جوز أن يكون من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته السببية ، لكن المشهور عند العلماء أن هذا النهي يتطلب لازماً له هو محل النهي ومقصوده .

(١)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للمؤلف / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ٤ / ٣١٧ تحقيق / على عبد الباري عطية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

المبحث الأول :

مجيء المنهي عنه مما لا قدرة للمخاطب على اجتنابه

عندما يكون المنهي عنه مما لا قدرة للمخاطب على اجتنابه والكف عنه يكون ذلك قرينة على ان المراد منه النهي عن لازمه ، وذلك مثل قولهم : لا تنس كذا ، فالمراد من النهي هنا النهي عن أسباب النسيان [1] ، لا النهي عن النسيان ، لأنه ليس في مقدور المخاطب أن يدفعه عن نفسه ، لكنه في مقدوره أن يدفع عن نفسه الأسباب التي تفضى به إليه ، فعلم من ذلك أن النهي ليس عن النسيان لكن عن لازمه وهو أسبابه .

ومن ذلك أيضاً قول الله – عز وجل - : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[2]

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ حيث إن المراد النهي عن اللازم وهو أن يكونوا على خلاف حال الإسلام عند مفاجأة الموت ، والقرينة الدَّالة هي أن الموت من الأمور التي لا قدرة لأحد على

---

(١)ينظر التحرير والتنوير تأليف / سماحة الأستاذ الإمام الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ١ / ٧٢٩ دار سحنون – تونس .

(٢)سورة البقرة آية (١٣٢) .

دفعها عن نفسه ، ولذا يقول الزمخشري : (فلا تموتن معناه : فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام ، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا .) (١)

دلالته البلاغية :

ذكر إبراهيم ويعقوب – عليها السلام – بنيهما بنعمة الله عليهم في اختياره الدين لهم ، فلا اختيار لهم بعده ، وأقل ما توجبه رعاية الله لهم وفضل الله عليهم هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه ، والحرص على ما اختاره لهم ، والاجتهاد في ألا يتركوا هذه الأرض إلا وهذه الأمانة محفوظه فيهم ، وتلك كانت وصيتهما لهم .

وقد اجتهد الإمام الزمخشري في بيان ما يكمن وراء البنية التركيبية لهذا النهي في الآية فقال : (كقولك : لا تصل إلا وأنت خاشع ، فلا تنهاه عن الصلاة ، ولكن عن ترك الخشوع حال صلاته .) (٢)

فأبان عن التحول في التركيب ، ثم أبان عن سِرَّ هذا التحول ، فقال: (فإن قلت : فأي نكتة في إدخال حرف النهي على الصلاة ، وليس بمنهي عنها ؟ قلت : النكتة فيه إظهار أن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة ، فكأنه قال : أنهاك عنها إذا لم تصلها على هذه الحالة .) (٣) .

---

(١)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام/ جار الله محمود بن عمر الزمخشري ١ / ١٩١ .
مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
(٢)الكشاف ١ / ١٩١ ، ١٩٢ .
(٣)الكشاف ١ / ١٩١ .

وهذا المثال الذي استشهد به الزمخشري وإن كان غير داخل تحت ما البحث بصدده إلا أنه اجتهاد طيب من الإمام استطاع به أن يقرب المعنى المراد للأذهان ليعلم طلاب العلم كيف يتذوقون التراكيب ، فيقيسون ما لا يعلمون منها على ما يعلمون ، والبعيد القصي على القريب الدنى ، ثم عاد إلى معنى النهي في الآية فقال :(وكذلك المعنى في الآية إظهار أن موتهم لا على حال الثبات على الإسلام موت لا خير فيه ، وأنه ليس بموت السعداء ، وأن من حق هذا الموت ألا يحلَّ فيهم .) [١]

ومن ثمَّ استحقت تلك الميتة التي لا خير فيها أن يسلط النهي عليها للدلالة من أول وهلة على مدى خبثها وحقارتها وشناعتها ، وأنه يجب عليهم أن يحذروها غاية الحذر . [٢]

كما أن هذا النهي على تلك الصورة التركيبية فيه من التذكير والوعظ ما ليس في غيره إذا جاء بصيغة أخرى ، ولذا يقول صاحب البحر المحيط : (جاء على هذه الصورة من النهي على الموت ليتضمن إيجازاً بليغاً ووعظا وتذكيرا وذلك أن الإنسان إذا تيقن الموت ، ولا يدري متى يفاجئه ، فإذا أمر بالتباس حالة لا يأتيه الموت إلا عليها كان متذكراً للموت

---

(١)الكشاف ١ / ١٩٢ .

(٢)ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبى السعود لأبى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ١ / ١٦٤ دار إحياء التراث العربي – بيروت .

دائماً ، إذ هو مأمور بتلك الحالة دائماً ، وهذه الحقيقة نهى عن تعاطي الأشياء التي تكون سبباً للموافاة على غير الإسلام .) [1]

وإذا علمنا أن هذا النهي كناية عن لازمه وهو النهي عن أن يكونوا على خلاف حال الإسلام عند الموت علمنا أيضاً أنه كناية عن الثبات على الإسلام في كل حال ؛ لأن المرء إذا لم يأمن الموت في كل طرفة عين ، ثم إنه أمر بأن يأتي بالشيء قبل الموت صار مأموراً به في كل حال ، لأنه يخشى إن لم يبادر إليه أن تعاجله المنية ، فيفوته الظفر بالنجاة . [2]

ثم لنا بعد ذلك أن نتأمل ما اشتملت عليه هذه الآية من إشارات بلاغية ودلالات تركيبية أبانت عن مشهد عظيم الأثر قوي الدلالة عميق التأثير ومنها :

١- التعبير بلفظ الوصية دون الأمر لما يتضمنه لفظ الوصية من التأكيد، لأن الوصية تكون عند الخوف من الموت ، وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لدينه أشد وأتم ، فإذا عرف أن سيدنا يعقوب – عليه السلام – في ذلك الوقت كان مهتماً بهذا الأمر متشدداً فيه كان القول إلى القبول أقرب ، كما لنا أن نتأمل الصيغة الدَّالة على

(١) البحر المحيط ، لأبى حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان بن أثير الدين الأندلسي ١ / ٦٣٧،المحقق / صدقي محمد جميل ،دار الفكر – بيروت ٤٢٠ هـ

(٢)ينظر مفاتيح الغيب =التفسير الكبير، لأبى عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي ٤ / ٦٤ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة١٤٢٠هـ .

الوصية وهي (وصَّى) وما فيها من تشديد دال على المبالغة والتكثير . (١) أي أنه لم يوصهم به مرة واحدة ولكن مرة بعد مرة .

٢- تخصيص إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – بنيهما بهذه الوصية دليل اهتمام بالغ بها ، وذلك لأن شفقة الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم ، فلما وصاهم بذلك في آخر العمر علمنا أن اهتمامهما بذلك أشد من اهتمامهما بغيره ، كما يشير إلى ذلك أيضاً أنهما ما مزجا بهذه الوصية وصية أخرى . (٢)

٣- النداء بلفظ (يا بنى) ، فجئ بـ (يا) التي لنداء البعيد بالرغم من أن بنيه بحضرته لزيادة التنبيه والإشعار بعظم الأمر الموصى به ، وجاء المنادي بلفظ (بني) مضافين إليه للتلطف ، وترجية للقبول ، وتحريك وهزٍ لمشاعرهم حتى لا يغفلوا عنها . (٣)

٤- تصدير الوصية بقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ ، ومجيئها مؤكدة للدلالة على الاهتمام البالغ بها ، والحرص من المتكلم على إذاعتها وتقريرها في النفوس كما أحسها مقررة أكيدة في نفسه ، وإسناد أمر الاصطفاء إلى الله فيه تشريف وتعظيم لتلك الوصية وحث لهم على التمسك بها ؛ لأن ما اصطفاه الله لعباده لا يعدل عنه العاقل . (٤)

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٤ / ٦٣ ، ٦٤ .
(٢)ينظر مفاتيح الغيب ٤ / ٦٣ ، ٦٤ .
(٣)ينظر البحر المحيط ١ / ٦٣٧ .
(٤) ينظر البحر المحيط ١ / ٦٣٧ .

ومن ثمَّ فقد انتظم في تلك الآية من النهي ومجيئه على هذه الصورة التركيبية والتأكيد والإيجاز والإسناد والنداء وغيره ما كان له أكبر الأثر في الإشعار بأهمية الأمر وعظم الوصية .

ومن ذلك أيضاً ما روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - قبل موته بثلاث أيام يقول : " لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنَّ بالله – عز وجل – " .(١)

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

ليس المراد في الحديث النهي عن الموت ، ولكن المراد النهي عن اللازم و هو أن يكونوا على خلاف حال حسن الظن بالله – عز وجل – عند مفاجأة الموت ، ولذا يقول الملا على القارئ : (فالنهي وإن كان في الظاهر عن الموت ، وليس إليه ذلك حتى ينتهي ، لكن في الحقيقة عن حالة ينقطع عندها الرجاء لسوء العمل كيلا يصادفه الموت عليها .) (٢)

---

(١) صحيح مسلم – للإمام الحافظ / أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٤/ ٢٢٠٥- رقم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت – المحقق / محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة الشيخ / على بن سلطان محمد القاري، المعروف بالملا على القاري٢ / ١١٥٩دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢-/ ٢٠٠٢م .

دلالته البلاغية :

على المؤمن أن يحسن ظنه بالله – عز وجل - ، وإن اقترف ذنبا يبادر بالتوبة ، ويحسن ظنه بربه أنه سيقبل توبته ، ويرحمه سبحانه وتعالى ، فهو الرحمن الرحيم ، الجواد الكريم .

وقد جاء النهي مسلطاً على الموت ، والمراد النهي عن الحالة التي ينقطع عندها الرجاء وحسن الظن ، وكأن المعنى : أنه ينبغي على المؤمن أن يظل طوال حياته حسن الظن بربه سبحانه ، حتى إذا جاءه الموت جاءه وهو على هذه الحال من حسن الظن والرجاء .

وإنما جاء النهي على هذه الهيئة التركيبية لما يتضمنه من إيجاز بليغ ، حيث إن فيه تذكيراً بالموت ، ووعظاً بالمبادرة بالتوبة والعمل الصالح حتى يحسن الظن ، لأن سوء الظن من سوء العمل ، يقول أبو الطيب المتنبي : [1]

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عداته وأصبح في ليلٍ من الشك مظلم

ولذا يقول الإمام الطيبي أيضاً : (أي أحسنوا أعمالكم الآن حتى

(١) ديوان المتنبي ص / ٤٥٩، المكتبة الثقافية – بيروت لبنان .

يحسن ظنكم بالله تعالى عند الموت ، فإن من ساء عمله قبل الموت يسوء ظنه عند الموت .) [1]

ومن ثمَّ فإن هذا البناء التركيبي للنهي في الحديث قد كان له أكبر الأثر في الوعظ والتذكير ، والحث على المبادرة إلى تحسين الأعمال ، والتنبيه على الاستمرار على تلك الحال من الصلاح وحسن الظن إلى أن يلقي الإنسان ربه – جل وعلا – وما كان لكل ذلك أن يتأتى بغير ذلك التركيب الدقيق الموجز البليغ .

تتمـــة :

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن من الأساليب التي جاءت مشاركة ونظيرة للنهي في هذا الباب (الأمر) ومن ذلك :

قول القائل : مت وأنت شهيد .

فالمتكلم لا يأمر مخاطبه هنا بالموت ، لأن هذا ليس في مقدور المخاطب ، وليس مما يأمر به أحد أحداً ، ولكنه يأمر بلازم ذلك وهو الحرص على الشهادة والطلب لها حتى إذا جاءه الموت جاءه على تلك الهيئة الشريفة ، و لذا يقول الزمخشري : (وتقول في الأمر أيضاً : مت

(١)شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للإمـــام / شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ٣/ ٣٤٢ تحقيق / أبو عبد الله محمد على سمك، دار الكتب العلمية – بيروت –الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

وأنت شهيد ، وليس مرادك الأمر بالموت ، ولكن بالكون على صفة الشهداء إذا مات .) [١]

وجاء الأمر بالموت هنا دون الشهادة لإظهار عظم وفضل هذه الميتة ، وللتنبيه على كونه بمنزلة المأمور به الذي حقه أن يقع ، وأن يحث عليه ، وأن الموت على غير الشهادة بمنزلة العدم الذي لا خير فيه ، أما الموت على الشهادة فهو الحياة والخلود والجزاء العظيم لصاحبه . [٢]

ولذا يقول الزمخشري – رحمه الله - : (ولكن أمرته بالموت اعتداداً منك بميتته، و إظهاراً لفضلها على غيرها ، وأنها حقيقة بأن يحث عليها .) [٣]

ومن ذلك ايضاً قول أبى الطيب المتنبي : [٤]

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

فالمتكلم لا يأمر مخاطبه في هذا البيت بالعيش أو الموت ، فهما من الأمور التي لا دخل للإرادة الإنسانية فيها ، ولكن يأمره بلازم ذلك وهو لزوم العزة والكرامة طوال حياته ، فإن عاش عاش عزيزاً ، وإن مات مات كريماً .

---

(١) الكشاف، ١ / ١٩٢ .

(٢)ينظر حاشية محيى الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي،٢ / ٣١٨ دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

(٣)الكشاف ،١ / ١٩٢ .

(٤)ديوان المتنبي،ص / ٥٤ .

وإنما جاء الأمر على تلك الصورة فلم يقل مثلاً : أعزز نفسك في الحياة ، أو أكرمها عند الموت ، لإظهار فضل الحياة حينما يكون الإنسان عزيزاً ، وفضل الموت حينما يكون كريماً ، وبيان أن الحياة بغير عزة والموت بغير كرامة أمران لا خير فيهما ؛ لأن الحياة حينئذ حياة لا تجلب الفخار والرفعة ، والموت حينذاك موت لا يورث الشرف وخلود الذكر .

والعيش لما كان اسما لما هو سبب الحياة من الأكل والشرب وغيره [1] عبر به هنا دون لفظ الحياة للإشارة إلى أنه ينبغي ألا تدفعه تلك الأسباب لإذلال نفسه وإهانتها ، بل يجب عليه أن يظل طوال حياته مرفوع الهامة ، شامخ الأنف .

ومنه أيضاً قول أبى نواس : [2]

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

ربما استفتحت بالمز ح مغاليق الحِمام

رب لفظ ساق آجا ل نيامٍ وقيامِ

إنما السالم من ألـ جم فاه بلجامِ

(١) ينظر الفروق اللغوية ، المؤلف / الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد أبو هلال العسكري ، ص/١٠٢
المحقق / محمد إبراهيم سليم ،دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع .
(٢)ديوان أبى نواس ، ص / ٤٥٢ ، دار صادر – بيروت .

فالشاعر لا يأمر مخاطبة بالموت ، لكنه يأمره بلزوم الصمت إلى أن يموت عليه ، وإنما جاء الأمر به للإشارة إلى أنه أنفع للإنسان وأسلم لجانبه ، وخاصة في زمن الفتن ، والشاعر وإن كان قد شبه الصمت والكلام بداءين لما يترتب عليهما من أذى للنفس ، إلا أنه جعل داء الكلام شرا من داء الصمت لما يترتب عليه من أذى أكثر ، وفتن أشد ، وبلاءٍ لا طاقة للإنسان في دفعه .

المبحث الثاني :

مجيء النهي محولاً إلى غير المنهي مع عدم اقترانه بأمر آخر يراد النهي عنه .

وقد يسلط النهي على شيءٍ ، ولا يراد النهي عنه ، وإنما النهي عن لازمه ، والقرينة الدَّالة على ذلك تحول النهي عن المنهي إلى غيره ، ومن أمثلته القول الشهير : لا أرينك ههنا .

وقد نص الصَّبان في شرحه على أن هذا النهي محول في إسناده فقال : (وهو نهى محول عن إسناده إلى المخاطب إلى إسناده للمتكلم ، والأصل : (لاتأتِ) فحول النهي عن الإتيان الذي هو سبب الرؤية إلى المسبب الذي هو الرؤية .) [١]

وذلك لأن المتكلم قد وجه النهي عن الرؤية إلى نفسه ، والمراد النهي عن لازم هذا الأمر وهو نهي المخاطب عن الحضور في هذا المكان فيراه المتكلم ، فكأنه قال : اذهب عن هذا المكان ، ألا ترى أن المخاطب ليس له أن يحجب إدراك الآمر عنه إلا بالذهاب عن ذلك المكان ، فأتى بالمقصود بلفظ يدل على الغضب والكراهية ، لأن الإنسان لا ينهى إلا عن شيءٍ يكره وقوعه . [٢]

ومن ذلك أيضاً قول الرجل محذراً أخاه :

---

(١)حاشية الصبان ٣ / ٢١٩ .
(٢)ينظر البحر المحيط ١ / ٦٣٧ .

لا يخدعنك العدو، ولا يسرقنك اللص، ولا يكن بيتك نهبة للمجرمين

فأخرج النهي في كل ذلك عن جهته ، فنهى العدو واللص والبيت، بينما الأصل أن يقال : لا تغفل فيخدعَك العدو ويسرقَك اللص وينهَب المجرمون بيتك ، فالنهي في أصله نهى للمخاطب عن الغفلة ، ولكن جاء بهذه الطريقة الكنائية لمزيد من التحذير والتنبيه حيث كشف أمام المحذر عاقبة غفلته وعدم حذره و حيطته .

هذا ، وقد جاء النهي المحول عن جهته في القرآن الكريم كثيراً ومنه :

قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[1]

(١)سورة المائدة آية (٢) .

النهى المراد منه النهي عن لازمه :

في قول الله – عز وجل - : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ حيث جاء النهي في اللفظ للشنآن (البغض) عن أن يتعرض للمؤمنين فيحملهم على الاعتداء والانتقام ، بينما المراد النهي عن لازم ذلك ، وهو نهى المخاطبين من المؤمنين عن الاعتداء والانتقام ، فالنهي محول في اللفظ عن توجيهه إلى المؤمنين إلى توجيهه إلى الشنآن ، ولذا يقول صاحب الدر المصون : (والنهي في اللفظ للشنآن ، وهو في المعنى للمخاطبين نحو :" لا أرينك ههنا ") (١)

دلالته البلاغية :

ينبه الله – عز وجل – المؤمنين في هذه الآية على أنه لا يجوز لهم بحال أن يستبيحوا حرمة الشعائر ، ولا أن ينتهكوا حرمة الأشهر الحرم ، ولا يحملهم بغض قوم لأي سبب وقع على أشخاصهم على الاعتداء والانتقام ، لأن المؤمنين عليهم تبعة القيادة والقوامة التي تفرض عليهم أن يضربوا للناس نموذجاً من السلوك سامياً .

فإذا تأملنا النهي في الآية استشعرنا مبالغة في نهي المخاطبين عن الاعتداء ، حيث نفذ النهي إلى داخل النفس الإنسانية ليطهرها من أوضار

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبى العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبى ١٩٢/٤ تحقيق د / أحمد محمد الخراط دار القلم – دمشق .

حب الذات والانتقام لها ، فلا يجعل للهوى سبيلاً عليها ، وبذلك يسد هذا الباب أمام الشيطان باجتثاث أسبابه التي يمكن أن تسيطر على النفس ، وتتملكها فتخرجها عن الطريق القويم ، ولذا يقول العلامة أبو السعود : (وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين ، لكنه في الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على أبلغ وجه و آكده ، فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية .) (١)

ومن ثمَّ لنا أن نتأمل ذلك النظم القرآني المعجز الذي انتقل وتحول بالنهي عن الاعتداء إلى النهي عن أسبابه المفضية إليه بتوجيهه إلى الشنآن مباشرة ، وزجره عن أن يتعرض للمؤمنين ، فإن مثله لا يليق أن يتعرض لمثلهم .

واستشعرنا كذلك تلطفاً في خطاب المؤمنين حيث لم يسند لهم المولى – جل وعلا – البغض والشنآن ، وإنما جعل النهي منصباً على الشنآن ، وكأنه صار منهياً عن أن يتعرض للمؤمنين ، وهذا دال على مدى كرامتهم عند الله – عز وجل – ومنزلتهم لديه سبحانه ، ومن ثمَّ جاء التحذير والزجر للمؤمنين بطريقة هادئة تذعن لها النفس ، وتنقاد في طواعية .

(١) تفسير أبى السعود ٣ / ٥ .

هذا بينما جاء النهي في أول الآية غير محول في قوله تعالى : ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ ، لأنه يتعلق بشعائر الله ، فتجب المسارعة إليه ، والإذعان والقبول دونما تباطؤ أو اعتراض ، ولذا جاء مقروناً بما يزيده قوة ونفاذاً ، حيث أضيفت الشعائر إلى الله – عز وجل – لتشريفها وتهويل الخطب في إحلالها ، (١) كما عطفت القلائد على الهدى عطفاً للخاص على العام لمزيد التوصية بها ، ولبيان مزيتها على ما عداها، كما يفيد النهي عن التعرض لأصحاب القلائد من باب أولى . (٢) كذلك نكرت الكلمات (فضلاً ورضواناً) ، وجاء التقييد بالوصف (من ربهم) لإفادة التفخيم ، وأضيف لفظ (رب) إلى ضمير الآمين لتشريفهم والمبالغة في استنكار المنهي عنه وهو حرمة الاعتداء عليهم . (٣)

وجاء النهي الثاني في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾ لزيادة تقرير مضمون النهي السابق ، ولكنه لما كان متعلقاً بأولئك الذين بينهم وبين المؤمنين بغضاء وشحناء كان فيه انتهاء عن حظ من حظوظ النفس وهو الانتصار لها ممن ظلمها واعتدى عليها ، ومن ثمَّ كان ثقيلاً على النفوس فجاء محولاً ليأخذ بها في رفق إلى الحق ، ولذا جاء متبوعاً بالتعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول الإمام البقاعي :

---

(١)ينظر تفسير أبى السعود ٣ / ٣ .

(٢)ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعي ٣ / ٤ دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

(٣)ينظر نظم الدرر ٣/ ٤ بتصرف .

(ولما نهاهم عن ذلك ، وكان الانتهاء عن الحظوظ شديداً ، وكان لذلك لابد في الغالب من منتهٍ وآبٍ أمر بالتعاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .) [١]

هذا وقد سلط النهي على الفعل (يجرمنكم) لأن الفعل (جرم) يستعمل في كسب ما لا خير فيه [٢]، وجاء لفظ (الشنآن) الدَّال على شدة وغاية المقت فخص بالنهي ليكون ما أقلَّ منه داخلاً فيه دخولاً أولياً.

كما حذف متعلق الفعل (تعتدوا) تعويلاً على ظهوره ، وإيماءً إلى أنَّ المقصد الأصلي هو منع صدور الاعتداء من المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على قوم مراعاة لجانبهم . [٣]

وكان حق جملة (وتعاونوا على البر والتقوى) أن تأتى مفصولة، لأنها تعليل للنهي في (لا يجرمنكم) ، ولكنها عطفت ترجيحاً لما تضمنته من التشريع على ما اقتضته من التعليل ، فأشار ذلك إلى أن هذا الأمر مقصود لذاته لا لمجرد تعليل النهي السابق عليه . [٤]

---

(١) نظم الدرر ٦ / ١٠ .

(٢)يقول الراغب : (وأجرم : صار ذا جرم نحو أثمر ، وأتمر ، وألبن ، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ، ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكيِّس المحمود) المفردات في غريب القرآن تأليف / أبى القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص/٩١ تحقيق وضبط / محمد سيد كيلاني دار المعرفة – بيروت .

(٣)ينظر تفسير أبى السعود ٣ / ٥ .

(٤)ينظر التحرير والتنوير ٦/ ٨٧ .

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾[1]

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

في قوله الله تعالى : ﴿ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ حيث جاء النهي في ظاهره موجهاً للكافرين عن إحزان رسول - ﷺ - بسبب مسارعتهم في الكفر ، بينما المراد النهي عن لازم ذلك وهو نهى النبي -ﷺ - عن الحزن عليهم بما هم فيه من إسراع وإصرار على الكفر ، ولذا يقول أبو السعود : (وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أن يحزنوه عليه الصلاة والسلام بمسارعتهم في الكفر ، لكنه في الحقيقة نهى له عليه الصلاة والسلام عن التأثر من ذلك والمبالاة بهم .)[2]

ويقول السمين الحلبي كذلك : (والنهي للذين في الظاهر ، وهو من باب قوله : (لا أرينك ههنا) أي لا تتعاط أسباباً يحصل لك بها حزن من جهتهم .)[3]

---

(١) سورة المائدة آية (٤١) .
(٢) تفسير أبى السعود ٣ / ٣٦ .
(٣)الدر المصون ٤ / ٢٦٦ .

دلالته البلاغية :

جاء النهي للكافرين لفظاً ليكون أبلغ وآكد في نهي النبي - ﷺ - إذ في انتهائهم قطع للأسباب المفضية لإحزانه - ﷺ - ، ولكن لما كان امتثالهم للنهي غير محقق كان النهي موجهاً للنبي - ﷺ - بألا يجعل لهم سبيلا على نفسه ، أي لا تهتم بما يفعلونه مما شأنه أن يدخل الحزن على نفسك ، ولذا قيل : (والغرض من النهي مجرد التسلية على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وقطع له من أصله .) (١)

كما أن هذا التحول اللفظي للنهي في الآية دال على مكانة رسول الله - ﷺ - وقدره عند ربه – جل وعلا – إذ عُدِل به عن النهي المباشر له ، كما هو دال على مدى هوان الكافرين والمنافقين على الله سبحانه وتعالى .

فإذا علمنا أن النهي عن فعل الغير هو نهي عن لازمه علمنا أن هذا النهي لا يتأتى إلا إذا أعرض النبي - ﷺ - إعراضاً تاماً عن المشركين والمنافقين ، ولم يقم لهم ولا لأقوالهم وزنا ، فإن فعل ذلك - ﷺ - فكأنهم انتهوا عن إحزانه - ﷺ - ، وامتثلوا للنهي الموجه لهم لفظاً .

هذا ، ومما يتآزر مع هذا النهي في الدلالة على عظم قدر النبي -ﷺ - ومكانته عند ربه – جل وعلا – في هذه الآية :

---

(١)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣/ ٣٠٥ .

أنـه - ﷺ - قد خوطب بعنوان الرسالة في قولـه تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ للتشريف و الإشعار بما يوجب عدم الحزن . (١)

كما جاء التعريف بالاسم الموصول عن المنافقين في قولـه تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ للإشارة بما في حيز الصلة إلى مدار الحزن ، وللتحقير منهم ، وعدى الإسراع بـ (في) الدَّالة على الظرفية للدلالة على أن الإسراع مجاز بمعنى التوغل (٢) فدل على أن مثلهم بغيض ممقوت لا ينبغي أن يأبه بشأنه عظيم القدر والمنزلة رسول الله - ﷺ - .

هذا ، وقد جاء نظير هذا النهي في آية أخرى عند قول الله – عز وجل - : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ

(١)ينظر تفسير أبى السعود ٣ / ٣٦ .

(٢) وعليه يكون في (يسارعون) استعارة تصريحية تبعية ، حيث شبه التوغل في الشيء بالإسراع فيه ، بجامع النشاط والحركة الشديدة في كل ، ثم حذف المشبه، ثم استعير المشبه به له ، ثم اشتق من الإسراع بمعنى التوغل ، يسارعون بمعنى يتوغلون ، وعليه تكون (في) قرينة .
ينظر التحرير والتنوير ٦ / ١٩٧ .

لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1]

النهى المراد منه النهي عن لازمه :

فـي قولـه تعـالى : ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ ﴾ حيـث إن ظـاهر هـذا التركيـب النهـي لكـلام المشـركين عـن أن يحـزن النبـي - ﷺ - ، مـع أن المقصـود النـهي عن لازم ذلـك ، وهـو نـهى النبـي - ﷺ - عن أن يتـأثر بمـا شأنه أن يحزن من أقوالهم .

دلالته البلاغية :

لما وجه الخطاب إلى النبـي - ﷺ - بـالنهي عن عمل هو من عمل غيره تعين أن المراد بذلك الكناية عن نـهيه - ﷺ - عن حصول ذلك الحزن في نفسه بأن يصرف عنها أسبابه وملزوماته .[2]

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هنا لِمَ جاء النـهي على هذه الصورة التركيبية المحولة الكنائية ؟

جاء النـهي هنا على هذه الصورة ليشير إلى خطورة الأمر المسلط عليه النـهي لفظاً ومدى فداحته ، كما يشير إلى مدى العناية ألا يقع المنـهي

---

(١) سورة يونس الآيات (٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥)

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١١ / ٢٢١ بتصرف

عنـه ، والحـرص الشـديد علـى منعـه ، وحتـى يقـرب هـذا المعنـى مـن ذهـن القارئ الكريم لنا أن نتأمل قول المحذر أخاه :

لا يقتلنك الباغي (١)

فإنا نستشعر من هذا النهي خوفاً شديداً وحرصاً بالغاً من المحذِّر ، ولذا توجه بالنهي إلى الباغي ، وكأنه يقول لمن يحذره بلسان حاله : لو كان في مقدوري أن أزجر الباغي وأنهاه عن قتلك وإيذائك لفعلت ، بينما لا نكاد نستشعر هذا المعنى لو قال المحذر لأخيه :

لا تغفل لكيلا يقتلك الباغي

فبينهما فرق كبير وبون شاسع يبين عن اهتمام بالغ وحرص شديد .

ولذا جاء النهي على هذه الصورة التركيبية في الآية ليشير إلى مدى بغض الله – عز وجل – لحدوث هذا الأمر ، كما يبين عن مكانة النبي - ﷺ - عند ربه – جل وعلا – وذلك لأن قولهم لما كان جالباً لإحزانه - ﷺ - كان موضع العناية بألا يصل للنبي - ﷺ - منه شيء ، فكأنه يمنعه ويجعل بينه وبين جناب النبي- ﷺ - سداً منيعاً .

(١)حيث إن النهي موجه إلى الباغي في اللفظ ، بينما المقصود النهي عن لازم ذلك وهو نهى المخاطب عن الغفلة حتى لا يقتله الباغي ، فحول النهى وعدل به إلى هذه الصورة .

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]

النهى المراد منه النهي عن لازمه :

فظاهر قوله تعالى : ﴿ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ نهى الشيطان عن فتن وإغواء بنى آدم ، بينما المراد النهي عن لازم ذلك وهو نهى بنى آدم عن الاستماع له والطاعة لأمره ، ولذا يقول الإمام البيضاوي : (والنهي في اللفظ للشيطان ، والمعنى نهيهم عن إغوائه والافتتان به .) [2]

ويقول كذلك صاحب إرشاد العقل السليم : (والنهي وإن كان متوجهاً إلى الشيطان ، لكنه في الحقيقة متوجه إلى المخاطبين ، كما في قولك : لا أرينك ههنا .) [3]

---

(١) سورة الأعراف آية (٢٧)

(٢)أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف / ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ٣ / ١٠ المحقق / محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

(٣)تفسير أبى السعود ٣ / ٢٢٢ .

دلالته البلاغية :

يحذر الله – عز وجل – بنى آدم في هذه الآية من إغواء الشيطان وإضلاله ووسوسته حتى لا يفتنهم كما فتن أبويهم من قبل (آدم وحواء) فأخرجهما من الجنة التي هي دار الفرح والسرور إلى الأرض التي هي دار المحن والشرور . (١)

هذا ، وقد جاء التحول في البنية التركيبية لجملة النهي فوجه في اللفظ إلى الشيطان ، بينما هو في المعني نهى للمؤمنين عن اتباعه والافتتان به للمبالغة في التحذير منه ، والإشارة إلى مدى خطورته وشدة حيلته يقول صاحب التحرير والتنوير : (وهذا من مبالغة النهي ، ومنه قول العرب : لا أعرفنك تفعل كذا ، أي : لا تفعل فأعرف فعلك ، ولا أرينك هنا ، أي : لا تحضر هنا فأراك ، فالمعنى : لا تطيعوا الشيطان في فتنه فيفتنكم ، ومثل هذا كناية عن النهي عن فعل ، وعن التعرض لأسبابه .) (٢)

وعليه فليس الواجب على المؤمن ألا يطيع الشيطان فحسب ، بل الواجب عليه ألا يعرض نفسه لأسباب الفتن أصلاً ، فينأى بنفسه عن كل ما من شأنه أن يلهي النفس ، أو يشغل القلب ، فإن فعل فكأنه جعل بينه وبين الشيطان سداً منيعاً ، ويكون بذلك حقق مراد الله – عز وجل – من نهيه للشيطان ألا يتعرض له بالفتن والإغواء .

---

(١)ينظر مفاتيح الغيب ١ / ٢٤٦ .
(٢)التحرير والتنوير ٨ ب / ٧٧ .

كما أن مجئ النهي على هذه الهيئة التركيبية إشارة إلى كرامة بني آدم على الله – عز وجل – وإبرازاً لشدة خطر الشيطان عليهم وإضلاله وفتنه وقريب من ذلك أنه عندما يكون عند المعلم طلاب منهم المجتهد المهيأ للعلم ، ومنهم المعرض الغافل الذي لا سبيل إلى إصلاحه ، إن أحَّس في الأول بعض الفتور والتقصير ، فإنه يقبل عليه بنصحه قائلاً :

لا يغوينك الغافل المعرض

فيتحول بالنهي إلى المعرض ، والأصل أن يقول : لا تطع المعرض فيغوك ، وإنما جاء النهي على تلك الهيئة التركيبية ليبرز المعلم حفاوته واهتمامه بالمجتهد ، وشدة حرصه عليه ، ومن ثمَّ يشعر بعز الاجتهاد فيداوم عليه ، كما أن فيه إشارة إلى شدة خطر هذا المعرض وهوانه عنده ـ ومن ثمَّ فالواجب على المجتهد ألا يترك للغافل سبيلاً على نفسه ، فيسد أمامه كل باب حاول أن يتسلل منه إليه ؛ ليضله ويفتنه ، فإن فعل فكأن الغافل امتثل للنهي الموجه إليه لفظاً .

ومما يتعاضد مع التحذير الشديد المفاد من النهي المحول في الآية :

١ـ تكرار النداء (يا بنى آدم) للإيذان بكمال الاعتناء بما صدر به ، لاستدعائه وفور يقظة المنادي ، والتنبه لما يوعظ به ، حيث يكون أحرص على الإصغاء له ، ويقبل عليه بشراشر قلبه . [1]

(١) ينظر تفسير أبى السعود ٣ / ٢٢٢ ، وتفسير المراغي ، المؤلف / أحمد بن مصطفى المراغي ٨ / ١٢٦ ، مطبعة المصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى ،١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

٢- استحضار المحذرين عند الخطاب بعنوان (بنى آدم) بعد ذكر قصة خلق آدم ، و ما لقيه من وسوسة الشيطان لإلهاب الحمية لدى الذرية كي تثأر لأبيها وتعرف خطر عدوها ، فتحذر وتحترس من الوقوع في شركه . (١)

٣- التعبير بـ (الفتون)، وأصله إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته واستعير هنا لمعنى المحنة والبلية والشدة (٢) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية (٣) لبيان عظيم إغوائه ووفور حبائله .

٤- مجيء التشبيه التمثيلي حيث شبه حال الشيطان في فتنه بنى آدام وإغوائه لهم ليخرجهم عما هم فيه من الإيمان والرشاد إلى الكفر والضلال ، بحال فتنته لآدم وحواء حين أخرجها من الجنة دار الفرح والسرور إلى الأرض دار المحن والشرور ، ووجه الشبه بينهما هو الحال الدَّالة على وجود ضال شديد الضلال عظيم الحيلة يحتال على غيره فينقله عما هو فيه من نعيم إلى شقاء وبؤس وكدر ، لتتوافر همة الذرية على الحذر منه ، ولا يغفلون عنه طرفة عين .

٥- إسناد الأفعال (ننزع – ليريهما – أخرج) إلى الشيطان عن طريق المجاز العقلي الذي علاقته السببية ؛ لإبراز قوة تأثيره وشدة

---

(١)ينظر التحرير والتنوير ٨ ب / ٧٣ .

(٢)ينظر المفردات في غريب القرآن ص / ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٣)فشبه الإغواء وهو تعريض الإنسان للفتن وعرضها على قلبه ، بعرض الذهب على النار ، بجامع الهيئة الدالة على التعرض للشدائد في كل ، ثم حذف المشبه ، ثم استعير لفظ المشبه به له ، ثم اشتق من الفتون بمعنى الإغواء ، يفتن بمعنى يغوى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

إغوائـه وعظم حيلتـه ، وكثـرة حبائلـه ، لينتبـه إليـه المحـذر انتباهـاً شديداً ، ويحترس منه احتراساً بالغاً .

٦- التعبيـر عمـا مضـى بالفعـل المضـارع (ينـزع) لاستحضـار هـذه الصورة الفظيعة ، و بيان أن الشيطان يهتم بكشف سوءة ابن آدم ، لأنه يسره أن يراه في حالة سوء وانكشاف ستر . (١)

٧- تعليل النهي بقولـه تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ للمبالغة في التحذير منه ؛ لأن العدو إذا أتى حيث لا يرى كان أشد وأخوف ، وكان جديراً بأن يحترس منه أشد الاحتراس . (٢)

وبذلك انتظمت الآية بكل تراكيبها لتحذير بنى آدم من كيد الشيطان ومكره ووسوسته ليكونوا على أتم حال من التنبه واليقظة له .

ومما يدخل تحت هذا الباب أيضاً قول الله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)

(١) ينظر التحرير والتنوير ٨ ب / ٧٨ .
(٢)ينظر روح المعاني٤ / ٣٣٤ ، وفتح القدير لمحمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني٢ / ٢٢٥ ، دار ابن كثير – دمشق الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
(٣)سورة الأعراف آية (٢) .

النهي المراد منه النهي عن لازمه:

في قوله تعالى : ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ حيث جاء النهي موجهاً في اللفظ إلى الحرج ، والمراد نهي المخاطب عن أن يقع فيه بأن يقال مثلاً: فلا تكن في حرج منه ، أو فلا تحرج منه ، ولكن حول النهي ، ولذا يقول الزمخشري – رحمه الله - : (فإن قلت : النهي في قوله : (فلا يكن) متوجه إلى الحرج فما وجهه ؟ قلت : هو من قولهم : لا أرينك ههنا .) (١) ويعلق ابن المنير – رحمه الله – على الزمخشري فيقول : (يريد أن الحرج منهى في الآية ظاهراً ، والمراد النهي عنه ، والله أعلم .) (٢)

ويقول صاحب المحرر الوجيز – رحمه الله – كذلك : (نهى النبي - ﷺ - أن يبرم أو يستصحب من هذا الكتاب ؛ أو بسبب من أسبابه حرجاً ، ولفظ النهي هو للحرج ، ومعناه للنبي - ﷺ - .) (٣)

دلالته البلاغة :

أبان الإمام أبو حيان التوحيدي– رحمه الله – عن بعض ما يختبئ من دلالات وأوجه وجيهة لهذا النهي بما يتناسب مع مقام النبي - ﷺ - الشريف العلي فقال : (وأسند النهي إلى الحرج ومعناه نهى المخاطب عن

---

(١) الكشاف ٢ / ٨٦ .

(٢) الانتصاف ،للإمام أحمد بن المنير السكندري ،٢ / ٨٦ ، مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ،٢ / ٣٧٢ ، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

التعرض للحرج ، وكان أبلغ من نهى المخاطب لما فيه من أن الحرج لو كان مما ينهى لنهيناه عنك ، فانته أنت ، ولأن فيه تنزيه نبيه - ﷺ - بأن ينهاه ، فيأتي التركيب : فلا تحرج منه ، لأن ما أنزله الله تعالى إليه يتناسب أن يسَّربه ، وينشرح ، لما فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه حيث أهله لإنزال كتابه عليه ، وجعله سفيراً بينه وبين خلقه فلهذه الفوائد عدل عن أن ينهاه ، ونهى الحرج .) [1]

وإنما كان هذا النهي فيه تنزيه للنبي - ﷺ - لأنه لو كان مباشراً في توجيهه للنبي - ﷺ - لأوهم ذلك أمراً يستحيل أن يصدر عنه - ﷺ - و لذا يقول الإمام أبو السعود – رحمه الله - : (وتوجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد نهيه – عليه الصلاة والسلام – عنه إمَّا للمبالغة في تنزيهه – عليه الصلاة والسلام – عن الشك فيما ذكر ، فإن النهي عن الشيء مما يوهم صدور المنهي عنه من المنهى .) [2] وهذا محال في حق النبي - ﷺ - .

كما نستشعر من هذا النهي مبالغة بالغة ، ولذا يقول النسفى– رحمه الله – (والنهي متوجه إلى الحرج وفيه من المبالغة ما فيه .) [3] وكأن الله – عز وجل – يجعل بين الحرج وبين نبيه - ﷺ - سداً منيعاً فلا يستطيع الحرج أن يصل إليه ، فضلاً عن أن يتصف به ، ولذا قيل : (وتتأتى

---

(١)البحر المحيط ٥ / ٨ .

(٢)تفسير أبى السعود٣ / ٢١٠ .

(٣)مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفى لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود بن حافظ الدين النسفي ٤٤٥/١ تحقيق يوسف على يوسف على بديوى، ومحيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

المبالغة في التكليف باقتلاعه من أصله ، فلا يصل إلى صدرك أصلاً حتى يتولد منه وينشأ .) [١]

لأن النهي عن وقوع الشك في صدره – عليه الصلاة والسلام – نهى له عن اتصافه به ، لأن الأول سبب في الثاني ، والنهي عن السبب نهى عن المسبب بالطريق البرهانى ، واقتلاع له من أصله . [٢]

ومما يتعاضد ويتآزر مع هذا النهي في البيان عن مقام النبي - ﷺ - الشريف في هذه الآية الكريمة :

١- التعبير عن الشك بما يلازمه من الحرج عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته اللازمية لأن الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتريه انشراحه و انفساحه مبالغة في تنزيه ساحته - ﷺ - عن نسبة الشك .

٢- تنكير كلمة (حرج) فأفادت التحقير ، وهذا أدعى إلى تنزه النبي - ﷺ - عنه وتنزه ساحته الشريفة المطهرة من الدنو منه .

٣- التعبير عن القلب بالصدر عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته المحلية ، لبيان ضرورة التنزه عن كل أدران الحرج ، فلا يبقى منه ما يعلق به ولو من بعيد ، ولذا قيل : (وعبر عن القلب بمسكنه الذي هو أوسع منه مبالغة في الأمر .) [٣]

---

(١)التحرير والتنوير ٨ ب / ١٣ .
(٢)ينظر تفسير أبى السعود ٣/ ٢١٠ .
(٣) نظم الدرر ٣٤٨/٧ .

٤- ما يفيده النهي من الإلهاب والتهييج ، لأن الشك من الأحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها إياه - ﷺ - فما قد يقع نسبته إليه – عليه الصلاة والسلام – فعلى طريقة الإلهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بالإيهام بأن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه ، فكيف بمن يمكن صدوره عنه ؟! (١)

ومما ينتظم في هذا الباب أيضاً قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢)

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

في قوله تعالى : ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ حيث إنه موجه في اللفظ للمشركين ، لكن المراد به النهي عن لازمه ، وهو نهي المسلمين من أن يمكنوهم من ذلك ، ولذا قيل : (ونهى المشركين عن أن يقربوا المسجد الحرام هو نهي للمسلمين من أن يمكنوهم من ذلك ، فهو من باب : لا أرينك ههنا .) (٣)

---

(١) ينظر تفسير أبى السعود ٣ / ٢٠٩ .

(٢) سورة التوبة آية (٢٨)

(٣) ينظر فتح القدير، لمحمد بن عبد الله الشوكاني ،٢ / ٣٩٩ ، دار ابن كثير – دمشق الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

دلالته البلاغية :

ينهى الله – عز وجل – المؤمنين في هذه الآية عن تمكين المشركين من المسجد الحرام بدخول أرض الحرم فضلاً عن دخول البيت نفسه نظراً لما يتلبسون به من نجاسة حسية ومعنوية ، وما يأتون به من أمور تخالف دين الإسلام . (١)

ومن المفسرين من حمل النهي الوارد في هذه الآية على ظاهره مستدلاً به على أن الكفار مخاطبون بالفروع حيث إنهم نهوا فيه ، والنهي من الأحكام ، و كونهم لا ينزجرون به لا يضر بعد معرفة معنى مخاطبتهم بها . (٢)

لكن ما عليه جُلُّ العلماء أن هذا النهي يراد به النهي عن لازمه ، ومجيئه محولاً في اللفظ قرينة دالة على ذلك ، إذ المشركون غير مخاطبين بفروع الشريعة (٣)

---

(١)كطوافهم بالبيت عراة ، وإشراكهم بربهم في التلبية ، والتصفيق والصفير عند البيت وغيرها .
ينظر تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار للمؤلف / محمد رشيد بن على رضا بن محمد شمس الدين بهاء الدين بن منلا على خليفة القلمونى الحسينى، ١٠ / ٢٤٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م

(٢)ينظر روح المعاني ، ٢٧٠/٥ .

(٣) ينظر الكشاف ٢٦١/٢ ،وتفسير النسفي ٦٧٣/١ ،وأبي السعود ٥٧/٤ ، وفتح القدير ٣٩٩/٢

وإنما جاء على تلك الهيئة التركيبية زجراً للمشركين ودحراً لهم كما تزجر الكلاب النابحة ، وتدحر الذئاب العاوية لبيان مدى مهانتهم وهوانهم على الله – تبارك وتعالى - .

كما أن في هذا النهي مبالغة مرادة حيث إن المؤمنين صاروا مطالبين من خلاله بطريق الكناية أن يقوموا على البيت بالرعاية والحفظ والاهتمام ، ولا يغفلون عنه طرفة عين ، ومن ثمَّ يجعلونه في منعة ومنأى عن أن يقربه مَنْ مِن شأنه التلبس بالنجاسة ، فيتناقض مع طهارة البيت العظيم ، ومكانته العالية ، وشأنه الرفيع ، ولذا قيل : (وهذا نهي للمسلمين عن تمكينهم من ذلك عُبَّر عنه بنهيهم مبالغة فيه .) (١)

ولنا أن نتأمل ما اشتملت عليه هذه الآية من إشارات بلاغية تتآزر مع هذا النهي في التأكيد على وجوب القيام بحق البيت الحرام من العناية والرعاية والاهتمام ومنها :

١- البدء بالنداء في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ حيث جاء التعبير بحرف النداء (يا) الذي للبعيد للإشارة إلى أهمية الأمر المنادي من أجله والعناية به ، يقول الزمخشري : (وتفيد (يا) التوكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنى به جداً .) (٢)
ثم جاء المنادي لفظ (أي) مردفاً بما يوضحه (الذين آمنو) لتشويق النفس حتى تقبل بنشاط ووفور همة على ما يلقى عليها

(١) نظم الدرر ٨ / ٤٣٩ .
(٢) الكشاف ١ / ٨٩ .

بعده ، ومن ثمَّ كان في هذا النداء ما ليس في غيره من أوجه التأكيد وأسباب المبالغة ، وكان كاشفاً عن أن الأمر الممهد له به ذو خطر ، وعلى المتلقي أن يجمع قلبه وعقله لتلقيه . (١)

٢- أسلوب القصر في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ حيث قصر موصوفاً وهو (المشركون) على صفة وهي (النجاسة) للمبالغة في اتصافهم بها ، فكأنه لا صفة لهم سواها ، وما داموا كذلك كانوا حقيقين بالحيلولة بينهم وبين البيت الكريم المطهر .

٣- التعبير بالاستعارة التصريحية الأصلية (٢) في لفظ (نجس) ، الذي أبان عن خبثهم وفساد اعتقادهم إذ صورهم أنجاس الأعيان كالكلاب والخنازير ، ومن كان كذلك كان حرياً بأن يتنزه عنه .

٤- التعبير بالنهي عن القرب في قوله تعالى : ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟﴾ ، والمراد النهي عن الدخول (٣) للمبالغة في الحث على صيانة البيت الحرام ، والقيام بحقه العظيم خير قيام .

---

(١)ينظر الكشاف ١ / ٨٩ ، ٩٠ ، ومن أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، د / محمد محمد أبو موسى ، ص / ٤٣ ، ٤٤ ، مكتبة وهبة الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

(٢) حيث شبه فاسد الاعتقاد بالعين القذرة النجسة ، بجامع علوق الخبث بكل ، ثم حذف المشبه ، ثم استعير لفظ (نجس) لفاسد الاعتقاد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

(٣)وفي التعبير بالقرب عن الدخول مجاز مرسل علاقته السببية .

ومما يسلك في خيط هذا النهى أيضاً قول الله تعالى :﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾(١)

وقوله تعالى : ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾(٢)

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

جاء النهي في هاتين الآيتين مسلطاً في اللفظ على التقلب فهو في الظاهر له ، لكن المراد به النهي عن لازمه وهو نهي المخاطب أن يغتر بتقلب الذين كفروا . (٣)

دلالته البلاغية :

تنبه هاتان الآيتان إلى الفتنة المستكنة في متاع الكافرين والعصاة والمعاندين ، وتقلبهم في ألوان من النعم كالمال والدور والبنين والمكانة والسلطان وغيرها ، فعندما ترى الجماهير الغافلة أهل الحق يعانون ، وأهل الباطل يتنعمون قد يحيك في قلوبهم منه شيء ، ومن ثمَّ جاءت هذه الآيات لتبين عن مقدار هذا المتاع ووزنه الصحيح إذا ما قورن بمتاع الآخرة الدائم .

---

(١)سورة آل عمران : آية (١٩٦) .
(٢)سورة غافر : آية (٤) .
(٣)ينظر الكشاف ١ / ٤٥٨ ، وتفسير البيضاوي ٢ / ٥٦ .

وقد حول النهي عن المخاطب (المؤمنين) إلى التقلب مبالغة فيه ، وكأن تقلب الكافرين صار منهياً بأن لا يتعرض بالتغرير لهم ، فمنع السبب بورود النهي عليه ليمتنع المسبب الذي هو اغترار المؤمنين بذلك السبب على طريق برهاني وهو – لا شك – أبلغ من وردود النهي على المسبب من أول الأمر [1] وذاك دال على الحرص الشديد والاهتمام البالغ من المولى – جل وعلا - بالمؤمنين ومدى كرامتهم عنده ، ومنزلتهم لديه – سبحانه .

كما يشير هذا التحول التركيبي إلى أن تلك الفتنة من الخطورة بمكان ، وأن من شأنها التغرير والإذهال ، بحيث صار نهيها عن ذلك متحتماً .

ومما يدلل على ذلك أن هذا الأسلوب التركيبي للنهي قد تكرر غير مرة معرباً عن خطورة ما توجه إليه ، وتسلط لفظاً عليه ومنه :

قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾[2]

(١)ينظر البحر المحيط ، ٣/ ٤٨٢ ، والألوسي ٢ /٣٨١ .
(٢) سورة فاطر آية (٥) .

وقولـه تعـالى فـي موضـع آخـر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾(١)

فـالمراد مـن الصـورة التركيبيـة للنهـي فـي الآيتـين السـابقتين زجـر النـاس وتحـذيرهم مـن الاغتـرار بالحيـاة الـدنيا وبمـا فيهـا مـن أمـور داعيـة للغفلة كالمال والجاه والسلطان وكثرة الولد وغيرها . (٢)

هـذا ، وقـد حـول النهـي فـي اللفـظ إلـى الحيـاة للدلالـة علـى عظـم خطرها، وأنها قد بلغت مبلغاً عظيماً من التزيين والخداع قد يعمى المرء عما فيها من زور ظاهر ، ومن ثمَّ استحقت النهي الزاجر لها ، فكان فيه من المبالغة والتأكيد والتنبيه ما ليس في غيره .

كذلك يستلزم هذا النهي تحذير المؤمنين كى لا يغفلوا عن غوائل تلك الفتن ، فيسدوا أمامها كل باب ، فلا يجعلوا لها منفذاً تتطرق منه إلى قلوبهم ؛ لأنها إن تطرقت إليها أطبقت عليها ، وإن تسربت إليها تشربتها فتغفل وتسكر وتطغى .

---

(١)سورة لقمان آية (٣٣) .

(٢)فالغرور : كل ما يغرُّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان
وفسِّر بالشيطان : لأنه أخبث الغارين
وفسِّر بالدنيا : لما قيل أن الدنيا تغرُّ وتضُّر وتُمِرُّ .
ينظر المفردات في غريب القرآن ص / ٣٥٩ .

تأزر مع ذلك البدء بالنداء للبعيد ، ومجئ المنادي مبهماً متبوعاً بالتفسير والتوضيح في قوله تعالى (يا أيها الناس) للتنبيه والإيقاظ من عوارض الغفلة والإشعار بخطورة ما بعده .

واقتران الفعل (تغرنكم) بنون التوكيد الثقيلة وتكراره ، وعطف الخاص على العام [1] فأعرب عن تحذير شديد بالغ ، وكلما كان التحذير شديد اللهجة قوى التأكيد كان الأمر المحذر منه عظيم الخطب شديد الخطر.

ومن ثمَّ فقد كان في هذا النهي من التركيز والإيجاز والتحذير ما ليس في غيره ، كما تآزر معه من التراكيب ما جعل وقعه أشد وتنبيهه أنفذ إلى القلوب .

كما لنا أن نتأمل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[2]

(١) حيث عطفت جملة (ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو عام إذا المراد بها كل ما يغر الإنسان من حياة وشيطان ومال وقوة وشهوة وغيرها ، على جمله (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) . للإشارة إلى عظم خطرها وقوة إغرارها .

(٢)سورة طه آية (١١٦ ،١١٧) .

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

في قوله تعالى : (فلا يخرجنكما) حيث إن النهي في اللفظ لإبليس ، بينما المراد به النهي عن لازمه ، وهو نهى آدم وحواء – عليهما السلام – عن طاعة الشيطان حتى لا يتسبب ذلك في إخراجها من الجنة ، لكنه حُوِّل عنهما اللفظ إليه ، ولذا قيل : (وقع النهي في صورة نهي عن عمل هو من أعمال الشيطان لا من أعمال آدام وزوجه – عليهما السلام – كناية عن نهيهما عن التأثر بوسائل إخراجهما من الجنة .) (١)

دلالته البلاغية :

جاء النهي على تلك الهيئة التركيبية الكنائية المحولة تنبيهاً على أنَّ آدم وحواء لهما من الكرامة عند الله – سبحانه وتعالى – والقدر والجلالة ما ينبغي أن تصان ، وذاك فيه من التلطف ما فيه . (٢)

كما أن في هذا النهي مبالغة وتأكيداً ؛ لأن النهي عن المسبب يلزم منه النهي عن السبب لأنه مترتب في الوجود عليه ، وإنما جاء النهي مسلطاً على المسبب وهو الإخراج من الجنة للتحذير من تلك العاقبة المخوفة ، فكان أدعى لأخذ الحذر والحيطة .

وكي نقترب أكثر من المعنى المستتر وراء هذا التركيب ، ونستشعر بعض ما يشتمل عليه من تحذير فلنا أن نتأمل هذين المثالين :

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٦ / ٣٢١ .
(٢) ينظر نظم الدرر ١٢ / ٣٥٦ .

قول المحذر أخاه : لا يسرقنك اللص .

وقــوله لــه : لا تغفل حتى لا يسرقك اللص .

فالمتمعن التركيبين يدرك ، ويستشعر أن في المثال الأول من التأكيد والمبالغة والتحذير ما ليس في الثاني ، وذلك لما فيه من المبادرة بالتحذير من أول وهلة بإعلان العاقبة المخوفة له ، ومن ثمَّ يبادر المخاطب إلى أخذ حذره ، ويجتهد في سد كل ثغر يمكن أن يتسلل اللص منه لسرقته ، كما أنه كاشف عن حرص شديد ، واهتمام بالغ من الناهي الذي تكشفت عنده مخاطر هذا اللص ، وظهرت لديه حيله .

هذا ، فضلاً عمَّا اقترن بهذا النهي الذي في الآية من دلالات للتراكيب المنتظمة معه ، من نداء للبعيد بـ (يا) ، والتعبير عن المنادي بالاسم الظاهر تكريماً له وتشريفاً وبياناً لعظيم منزلته ، والإشارة لعدوه باسم الإشارة (هذا) الذي للقريب المبين عن تحقير وخسة عدوه ، وأنه لن يتوانى عن الإيقاع به بشتى الوسائل الغاوية والحيل الماكرة .

كذلك إسناد الإخراج إليه لإبراز شدة حيلته ومكره ، وقدرته على الإغواء والإضلال ، ثم ذكر عاقبة الإخراج (فتشقى) فيكون أشد حذراً وحيطة منه .

كما جاء هذا النهي للتحذير من العاقبة المخوفة في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1]

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

في قوله تعالى : ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ حيث إنه بحسب الظاهر نهى لسيدنا سليمان – عليه الصلاة والسلام – ولجنوده عن الحطم ، بينما هو في الحقيقة يراد به النهي عن لازمه وهو نهى النمل عن التأخر في دخول مساكنهم لكيلا يحطم [2] ، يقول صاحب البحر المحيط : (والظاهر أن قوله : (لا يحطمنكم) بالنون المخففة أو شديدة نهى مستأنف وهو من باب : لا أرينك ههنا ، نهت غير النمل ، والمراد النمل ، أي :لا تظهروا بأرض الوادي فيحطمنكم ، ولا تكن هنا فأراك .)[3]

دلالته البلاغية :

جاء النهي على هذه الصورة الكنائية ليكشف عن شدة حرص النملة على أبناء جنسها ، وخوفها الشديد عليهم ، ورغبتها الأكيدة في سلامتهم وقد أبانت عن ذلك بنهيها سليمان – عليه السلام – وجنوده ،

---

(١) سورة النمل آية (١٨) .
(٢)ينظر تفسير أبى السعود ٦ / ٢٨٧ .
(٣) البحر المحيط ٨ / ٢٢٠ .

وكأنها تريد أن تصرخ قائلة : لو كنت أستطيع أن أنهى سليمان وجنوده لفعلت ، فعليكم أن تسرعوا ، ولا تتباطؤوا لكيلا يحطموكم .

يقول البقاعي : (فهو نهي لهم عن البروز في صورة نهيه ، وهو ابلغ من التصريح بنهيهم ، لأن من نهى كبيراً عن شيءٍ كان لغيره أشد نهياً .) (١)

كما يشعرنا مجئ النهي على هذه الصورة التركيبية بمزيد من التحذير والتخويف للنمل كي يسرع فينجوا ، يقول ابن باديس : (نهتهم عن أن يحطمهم ، والحطم ليس من فعلهم حتى ينهوا عنه ، وإنما المعنى : لا تكونوا خارج مساكنكم فيحطمنكم ، فنهتهم عن المسبب ، والمراد : السبب لما في ذلك من الإيجاز المناسب لسرعة الإنذار لسرعة النجاة ، و لما في ذكر المسبب وهو الحطم من التخويف الحامل على الإسراع إلى الدخول .) (٢)

هذا ، وقد تعددت وسائل التنبيه والتحذير في هذه الآية الكريمة ومنها :

١- البدء بالنداء بـ (يا) المشعر بخطورة الأمر ، لأنها تناديهم نداء البعيد مع شدة قربهم منها .

---

(١) نظم الدرر ١٤ / ١٤٣ .

(٢)تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) المؤلف / عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجى ١ / ٢٦٢ ، علق عليه وخرج آياته وأحاديثه / أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٢- التوضيح بعد الإبهام في (أيها النمل) لطرد الغفلة عنهم ، فضلاً عمَّا اشتمل عليه النداء من (الهاء) الموضوعة بلفظها وجرسها للتنبيه ، وقد أنزلتهم منزلة من يعقل .

٣- المبادرة بالأمر (ادخلوا) للحث على الإسراع ، بعد النداء الذي هيأ النفس وأيقظها ؛ لأن الأمر إذا جاء بعد النداء صادف نفساً مهيأة يقظة ، فيقع منها موقع الإصابة ، حيث تتلقاه بحسٍّ واعٍ وذهن منتبه . (١)

٤- إسناد الحطم إلى سليمان – عليه السلام - ،و إلى جنوده لمزيد من الترهيب والتخويف ، فكان يكفي أن تقول : (لا يحطمنكم جنود سليمان) ، ولكنها جاءت بما هو أبلغ ، وأوقع في النفس ، وأنفذ إلى القلب . (٢)

٥- ثم ختم التحذير بـ (وهم لا يشعرون) للتأدب مع نبي الله سليمان (٣) ، و إضفاء مزيد من التحذير ، لأن الحطم عندما لا يشعر به فاعله قد يكون أشد وأعنف لعدم اكتراثه ومبالاته به .

هذا غيض من فيض الآية ، فقد عدد الإمام السيوطي فيها أحد عشر لوناً من ألوان البلاغة فقال : (جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام ، نادت وكنَّت ، ونبهت ، وسمَّت ، وأمرت ، وقصَّت ، وحذرت ، وخصَّت ، و عمَّت ، وأشارت ، وأعذرت ، فالنداء (يا) ، والكناية (أي) ،

---

(١) ينظر علم المعاني د / بسيوني عبد الفتاح فيود ٢ / ١٢١ مؤسسة المختار للنشر الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
(٢) ينظر الكشاف ٣ / ٣٥٦ .
(٣) ينظر تفسير الألوسى ١٠ / ١٧٤ .

والتنبيه (ها) ، والتسمية (النمل) ، والأمر (ادخلوا) ، والقصص (مساكنكم) والتحذير (لا يحطمنكم) ، والتخصيص (سليمان) ، والتعميم (جنوده) ، والإشارة (وهم) ، والعذر (لا يشعرون) ، فأدت خمسة حقوق: حق الله ، وحق رسوله ، وحقها ، وحق رعيتها ، وحق جنود سليمان .) [1]

تتمة :

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن من الأساليب التي جاءت مشاكلة ونظيرة للنهي في هذا لباب (الأمر) فنراه قد وُجِّه إلي غير المأمور ، وحُوِّل عنه كناية عن توجيهه إليه ، ومن ذلك :

قول الله – تبارك وتعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[2]

حيث جاء في قوله تعالى : ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ﴾ موجهاً إلى الكافرين بأن يجدوا في المؤمنين غلظة ، بينما المراد أمر المؤمنين بالاتصاف بالغلظة حتى يجد الكافرين منهم ذلك ، ولذا يقول الألوسي– رحمه الله - : (وليجدوا فيكم غلظة أي : شدة و الأمر على حد – لا أرينك

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للإمام / جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي ٥٥/٢، دار الندوة الجديدة بيروت – لبنان .

(٢)سورة التوبة: آية (١٢٣) .

ههنا – فليس المقصود أمر الكفار بأن يجدوا في المؤمنين ذلك ، بل أمر المؤمنين بالاتصاف بما ذكر حتى يجدهم الكفارمتصفين به .) [١]

وإنما جاء الأمر على هذه الهيئة التركيبية الكنائية مبالغة في الأمر بالشدة ؛ لأن الأمر بأن يجد الكفار فيهم الشدة لا يتحقق إلا إذا كانت بحيث تظهر وتنال العدو فيحس بها ، وإنما كانت مطلوبة لما عليه العدو من قوة وعدد وعدة ، فلا يجدون الشدة من المؤمنين إلا إذا كانت شدة عظيمة . [٢]

وعبر بالغلظة عن الشدة عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته السببية تنبيهاً إلى ما يجب أن يكون عليه حال المؤمن عند قتال الأعداء ، إذا يجب عليه حينئذ أن يطرد عن نفسه أي ضعف وخور ، وكل ما من شأنه أن يوهن شوكة المؤمنين .

هذا ، بينما جاء الأمر بالغلظة للنبي - ﷺ - صريحاً غير محول ولا كنائى في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٣]

وقد ورد الأمر بالغلظة للنبي - ﷺ - في القرآن مرتين ، مرة في سورة التوبة ، وأخرى في سورة التحريم ، وفي كلتيها أتى صريحاً غير مكني ولا محول كما جاء في حق المؤمنين ، وذلك لأن النبي - ﷺ - جُبِل

(١)ينظر تفسير الألوسى ٦ / ٤٧ .
(٢) ينظر التحرير والتنوير ١١ / ٦٣ .
(٣)سورة التوبة آية (٧٣) ، وسورة التحريم آية (٩) .

على الرحمة ، فأمر بأن يتخلى عن جبلته في حق الكفار والمنافقين ، وأن لا يغضى عنهم كما كان شأنه من قبل ، فليس فيه من المبالغة والتأكيد في الأمر ما في الأمر السابق للمؤمنين . (١)

ومن ذلك ايضاً قول تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾(٢)

حيث جاء الأمر (وليكتب) موجهاً في اللفظ للكاتب ، بينما المراد لازمه وهو أمر المتعاقدين بالاستكتاب ، والسر من ذلك التأكيد على أمر الكتابة ، و قيل : (والعرب تعمد إلى المقصود فتنزله منزلة الوسيلة مبالغة في حصوله كقولهم في الأمر : ليكن ولدك مهذباً .)(٣)

فالأمر في قولهم : (ليكن ولدك مهذباً) موجه للولد في الظاهر ، بينما المراد منه لازمه وهو أمر الوالد أن يهذب ولده ، وإنما جاء على هذه الصورة الكنائية للمبالغة والتأكيد على هذا الأمر ، وكأن الولد صار مأموراً بأن يكون مهذباً فلا ينبغي له أن يتوانى أو يقصر .

ومما ينتظم في هذا الخيط أيضاً ما روى عن عقبة بن عامر – رضى الله عنه – قال : لقيت رسول الله - ﷺ - فقلت : ما النجاة ؟ فقال :

---

(١)ينظر التحرير والتنوير ١٠ / ٢٦٧ .
(٢) سورة البقرة آية (٢٨٢) .
(٣)التحرير والتنوير ٣ / ١٠١ .

" أملك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك " (١)

حيث جاء الأمر (وليسعك بيتك) موجهاً للبيت في اللفظ ، بينا المراد في المعنى الأمر بلازمه ، وهو أمر المخاطب بأن يلزم بيته ، ولذا يقول الإمام الطيبى– رحمه الله - : (والأمر في الظاهر وارد على البيت ، وفي الحقيقة على المخاطب ، أي تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته ، والخلوة عن الأغيار .) (٢)

وإنما جاء الأمر على هذه الصورة التركيبية ، فعدل به في اللفظ للتحريض على تحصيله ، و الحث على القيام به بحيث لا يجد المخاطب أمامه طريقاً أكثر أمناً وأرجى للنجاة من لزوم بيته والقرار به ، والأنس بالله – عز وجل - .

(١)الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ، لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة كتاب الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان ،رقم (٢٤٠٦) ، ٤ / ٦٠٥ تحقيق / أحمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده

(٢)شرح الطيبى ٩ / ١٣١ .

المبحث الثالث:

مجيء النهي محولاً إلى غير المنهى مع اقترانه بأمر آخر يراد النهي عنه

قد يُحَوَّل النهي إلى غير المنهى – كما رأينا في المبحث السابق – ويقترن بأمر آخر يراد النهي عنه ، فيجعل النهي في اللفظ عن شيءٍ ، ولا يراد النهي عنه ، ويقيده بمقارنه ، ليعلم بأنه إذا أوقعه اضطر لإيقاع مقارنه ، فينتهي عنه . (١)

ومن ذلك قولهم : لا أرينك بثياب مشوهة .

حيث حُوِّل النهي في (لا أرينك) من المخاطب إلى المتكلم ، والمراد ليس نهى المتكلم نفسه عن رؤية مخاطبه ، ولا نهى المخاطب عن رؤية المتكلم ، لأن رؤية المتكلم للمخاطب ليست في مقدوره ، ولكن نراه قيد تلك الرؤية بأن يكون المخاطب بثياب مشوهة ، ليعلم المخاطب بأنه إذا كان ذا ثياب مشوهة اضطر لأن يراه الناهي على تلك الحالة ، ومن ثَمَّ ينتهي عنها لئلا يراه عليها .

فالأصل في مثل ذلك أن يقول : لا تلبس ثياباً مشوهة ، ولكن جاء النهي على هذه الصورة التركيبية الكنائية المحولة لإشعار المخاطب بحرص المتكلم عليه في أنه يحب أن يراه ذا صورة معجبة في كل وقت ،

(١)ينظر التحرير والتنوير ١/ ٧٢٩ .

وإشعاره كذلك ببغضه الشديد وكراهيته لصورته الرثة المشوهة فكأنه ينهى نفسه عن رؤيته على تلك الحالة .

ومنه أيضاً قولهم : لا أعرفنك تفعل كذا

فالمتكلم لا ينهي نفسه عن معرفة مخاطبه يفعل، ولا ينهى مخاطبه عن معرفته ، ولكنه ينهاه أن يفعل ، لأنه إن فعله عرفه، ومن ثمَّ فإنا نلمح في هذا التركيب الكنائى من الوعيد والتهديد ما ليس في النهي الصريح، فكان أبلغ وآكد لما فيه من نهى النفس المشعر بغضب شديد ووعيد أكيد . (١)

هذا ، وقد كثر وشاع استعمال هذا التركيب في كلام العرب ومنه قول النابغة الذبيانى : (٢)

من مبلغ عمرو بن هند آية ومن النصيحة كثرة الإنذار

لا أعرفنك عارضاً لرماحنا في جفّ تغلب وادى الأمرار

يا لهف أمي بعد أسرة جعول ألا ألاقيهم ورهط عرار

نجد الشاعر هنا ينذر عمرو بن هند ، ويحذره من ملاقاته ومحاربته بين أهله وقومه ، فقال : (لا أعرفنك عارضاً لرماحنا) وهو لا يريد بهذا النهي أن ينهى نفسه عن معرفة هذا الأمر ، ولا ينهى مخاطبه عن معرفته، ولكنه ينهاه عن مواجهة رماحه ورماح قومه، وجاء بالإنذار متشحاً

(١)ينظر التحرير والتنوير ٨ ب / ١٣ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص / ٩١ شرح وتقديم / عباس عبد الستار
دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الأولى،١٤١١هـ / ١٩٩١م .

بوشاح هذا التركيب الكنائى للمبالغة فيه ، ولإضفاء مزيد من التهديد والوعيد ، كما يبرز حرصه الشديد على ألا يقع هذا الأمر ، فكأنه ينهى نفسه عن معرفته لعلمه بما يستلزمه من عواقب وخيمة ، وآثار موجعة أليمة ، فإذا كان الإنذار والتحذير من مجرد معرفته ، فما بالنا بلقائه ولقاء قومه في ديارهم بكامل عدتهم وعتادهم .

ومنه كذلك قول الحارث بن حلزة : (١)

لا أعرفنك إن أرسلت قافية تلقى المعاذير إن لم تنفع العِذَرُ

إن السعيد له في غيره عظة وفي التجارب تحكيم ومعتبر

فالشاعر في هذين البيتين يحذر مخاطبه من الخطأ الذي يضطره بعد ذلك إلى الاعتذار وإرسال قصائد الاستعطاف ؛ لأنها لن تجدى نفعاً حينئذٍ ، وعليه أن يتعظ بما يسمع ويرى من تجارب الآخرين ، وإذا تأملنا قوله : (لا أعرفنك إن أرسلت قافية تلقى المعاذير) نرى أنه قد سلطالنهى على نفسه ، وهو لا يريد أن ينهى نفسه ، ولا أن ينهى مخاطبه عن معرفته، ولكن ينهاه عن لازمه وهو أن يفعل ما يستوجب الاعتذار ، وجاء بهذا الأسلوب في هذا المقام لما فيه من تهديد بالغ ، كأنه يقول : لو أستطيع أن أنهى نفسى عن معرفة هذا الأمر لفعلت ، لأن معرفتي له غير محمودة العقبى ، فكان فيه من الإبراق والإرعاد ما فيه .

(١) ديوان الحارث بن حلزة ص / ٦٩،جمعه وحققه وشرحه د / إميل بديع يعقوب دار الكتاب العربي– بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

ومنه أيضاً قول عبد الملك بن مروان عند موته لابنه الوليد :

(يا وليد لا أعرفَنَّك إذا أنا مِتُّ تجلس ، وتعصر عينيك ، وتَحِنُّ كما تحن الأمة الوعكاء ، لكن ائتزر وشمِّر ، والبس جلد النمر ، وضعني في حفرتي ، وخلني وشأني ، وعليك وشأنك .) [1]

فعبد الملك بن مروان يريد أن ينهى الوليد عن جلوسه وبكائه عليه بعد الموت ، وأن يظل يعصر عينيه ، ويحن كما تحن الأمة ، ولكن سلط النهي على معرفته لها لإشعار الوليد بمدى بغضه وكراهيته لهذه الأمور ، فكأنه ينهى نفسه عن معرفتها وهو بذلك يعلن رفضه التام لها ، وحرصه الشديد على ألا يتأتى من الوليد شيءٌ منها .

ومما جاء من ذلك في البيان النبوي :

عن أبى رافع –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله - ﷺ - :

" لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به ، أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه . "[2]

---

(١)التذكرة الحمدونيه، المؤلف / محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون ، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ٩ / ٢٩٣، دار صادر – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ .

(٢) سنن أبى داود ، للإمام الحافظ المصنف المتقن / أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأردني رقم (٤٥٩٤) – باب في لزوم السنة – تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، بيروت .

النهي المراد منه النهى عن لازمه :

في قوله - ﷺ- (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته .....) حيث وجه النهي إلى النفس عن أن تجدهم على هذه الحالة الشنيعة ، بينما المراد النهي عن لازمه و هو نهى الغير عن التلبس بها ، ولذا يقول الإمام الطيبى– رحمه الله – (وهو كقولهم : لا أرينك ههنا ، نهى رسول الله - ﷺ- نفسه عن أن تجدهم على هذه الحالة ، والمراد نهيهم عن أن يكونوا على تلك الحالة ، فإنهم إذا كانوا عليها وجدهم - ﷺ - ، كذلك فهو من باب إطلاق المسبب على السبب ، ومن الكناية الإيمائية.) (١)

دلالته البلاغية :

جاء التحذير في هذا الحديث من مخالفة السنن التي سنَّها رسول الله - ﷺ- عما ليس لها ذكر في القرآن الكريم ، على ما ذهب إليه الخوارج والروافض وغيرهم ممن تعلقوا بظاهر القرآن ، وتركوا السنن التي ضمنت بيان الكتاب ، فتَحيروا فضلوا ، وأضلوا . (٢)

والسر وراء هذا العدول التركيبي المبالغة في بيان شدة بغض النبي - ﷺ - لهذا الأمر ، حيث إنه من الكراهة والسوء بمكان يجدر معه أن تنهى النفس عن أن تراه أو تجده ، فأشار إلى مدى قبحه وشناعته .

---

(١)شرح الطيبى على مشكاة المصابيح ،١ / ٣٥٥ .

(٢)ينظر عون المعبود شرح سنن أبى داود للعلامة / أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى ٨ / ١٤ مع تعليقات الحافظ / شمس الدين ابن قيم الجوزية ، خرج أحاديثه / عصام الصبابطى، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م .

كما أن مجيء النهي على هذه الصورة التركيبية جعله مشتملا على تحذيرين وهما :

الأول : التحذير من الأمر المراد النهي عنه وهو مخالفة السنة .

الثاني : التحذير من معرفة النبي - ﷺ - بذلك ، فكان أرهب ، وأجدر بأن يحذر .

وجاء التعبير بالفعل (ألفى) دون (وجد) وإن كانا قريبي الدلالة جداً ؛ لما في (ألفى) من الإشارة إلى أن الأمر المنهي عنه من القبح والشناعة بمكان حيث صار كالأمر الظاهر المادي المحسوس المتفق على قبحه وخبثه فلا يخفى على كل ذي عقل ، فكان ينبغي عليهم ألا يتأتى منهم. (١)

وجاء التعبير باسم الفاعل (متكئاً) والفعل المضارع (يقول : لا أدري) لاستحضار تلك الصورة القبيحة ، والحال كناية عن أصحاب الدعة

---

(١)وذلك لأن (ألفى) تستعمل أكثر في إدراك الأمور المادية المحسوسة المرئية فكان انتفاء العقل معها ، لأن من لا يدرك الأمر المادي المحسوس مع شدة ظهوره لا عقل له . قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة آية : ١٧٠)

أما (وجد) فتستعمل في إدراك الأمور القلبية أكثر ، فكان انتفاء العلم معها ، لأن من لا يدرك الأمر القلبي لا علم عنده ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة آية : ١٠٤) .

والخور المثبطين الناس عن الاجتهاد في طلب العلم ، ومعرفة الحق ، فكان فيه مزيد تحقير لهم وتشنيع عليهم . (١)

ومما جاء في الحديث النبوي الشريف أيضاً ، ما روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: قام فينا رسول الله - ﷺ - ذات يوم فذكر الغلول فعظمه ، وعظم أمره ، ثم قال :

" لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا املك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجئ يوم

(١)ينظر عون المعبود ٨ / ١٤ .

القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك . " [1]

النهي المراد منه النهي عن لازمه :

في قوله - ﷺ -(لا ألفين أحدكم) وقد تكررت في الحديث ، حيث إن المراد من النهي هنا ليس نهى النفس عن أن تلفى المخاطبين على الصورة المحذر منها ، وإنما المراد منه النهي عن لازمه وهو نهى المخاطبين عن الغلول بشتى صوره ، ولذا يقول الإمام الطيبى– رحمه الله : ((لا ألفين أحدكم) كقولهم : لا أرينك ههنا ، نهى نفسه عن أن يجدهم على هذه الحالة ، والمراد نهيهم عن ذلك ، وهو أبلغ .)[2]

دلالته البلاغية :

يحذر النبي - ﷺ- أمته في هذا الحديث من الغلول والخيانة فلا ينبغي أن تمتد يد مسلم إلى أخذ شيءٍ ليس لها بحق ، مبيناً عن العاقبة الوخيمة التي سيلقاها هذا الغال ، وكيف ستكون حاله يوم القيامة ، فوقتئذٍ لن تنفعه شفاعة الشافعين ، بل لن يستطيع أحد أن يشفع له أصلاً .

---

(١)صحيح البخاري للإمام / أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب : الجهاد والسير ، باب : الغلول رقم (٣٠٧٣) ،٤/ ٧٤ ، دار ابن كثير – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م
وصحيح مسلم كتاب : الإمارة ، باب : عظم تحريم الغلول ، رقم (١٨٣١) ١٤٦١/٣.

(٢)شرح الطيبى ٨ / ٤١ .

وإذا تأملنا الحديث لاحظنا تكرير جملة النهي (لا ألفين) ست مرات حيث تصدرت كل صورة يراد التحذير منها ، فأبانت عن تحذير شديد اللهجة ، وعن أن الأمر المحذر منه بلغ الغاية في الشناعة والقبح .

وجاء نهى النفس عن أن تجد المخاطبين على تلك الأحوال المحذر منها كناية عن نهيهم عنها لإبراز مدى كراهية النفس لها ، وأنها قد بلغت درجة من القبح والشناعة تستحق معها أن تنهى النفس عن وجدانها ورؤيتها .

كما يشير هذا النهي إلى حرص بالغ من النبي - ﷺ - على أفراد أمته ، لئلا تأتى رقابهم يوم القيامة مثقلة بما غلته أيديهم ، وقد كشف النهي عن ذلك الحرص ، إذ في تسليط النهي على النفس إشارة إلى أن الناهي لو يستطيع أن يمنع وجود هذا الأمر بأن يمنع نفسه عن وجدانه و العلم به لفعل .

ولا شك أن هذا النهي ما كان ليشير إلى تلك الدلالات لو جاء صريحاً بأن سلطت أداة النهي على الأمر المراد الكف عنه مباشرة بأن يقال مثلاً : (لا يأت أحدكم يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء) ، هذا فضلاً عمَّا فيه من افتضاح على رءوس الأشهاد ، وأن النبي - ﷺ- سيجد الغال على هذه الحالة الشنيعة فلا يستطيع أن يدفع عنه شيئاً لقبح فعله ،فكان أبلغ وآكد في التحذير وأحمل للسامع على الارتداع .

هذا وقد جاء النهي معقباً بالجملة الفعلية التي فعلها مضارع (يجئ على رءوس الأشهاد)، وجملة : (يقول : يا رسول الله أغثني) كي

تستحضر النفس هذه الصورة الشنيعة ، وترى الذلة والمهانة ماثلة شاخصة أمامها ، فتنزجر وترتدع ، وتكف .

تنبيه :

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً أن من الأساليب التي جاءت مشاكلة ونظيرة للنهي في هذا الباب (الخبر) حيث نراه قد حُوِّل عن المخاطب واقترن بفعل آخر يراد إخباره به ، وذلك كما في قول عبيد بن الأبرص : [1]

فإن رأيت بوادٍ حية ذكراً فامضِ ودعني أمارس حية الوادي

لأعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي مازودتني زادي

فالشاعر هنا يفتخر بنفسه وذكائه ودهائه ، ويقول لمخاطبه أنه سيعرف قدره و قيمته بعد فقده ، وإن كان لم يحسن إليه في حياته ، ولم يقدره حق قدره ، وإذا تأملنا قوله (لأعرفنك بعد الموت تندبني) ندرك أنه لا يريد أن يخبر نفسه أن مخاطبه قد ندبه وعرف قدره بعد موته ، ولا يريد أن يخبر مخاطبه بمعرفته لأن معرفته لا يتعلق بها عظيم فائدة ، ولكن يريد إخباره بلازم ذلك وما يقترن به من أنه سيفقده فقداً شديداً ، وسيعرف قدره مما يجعله يندبه ويتغنى بخصاله وشمائله ، وإنما جاء الخبر على هذه الطريقة الكنائية للمبالغة في لوم المخاطب وعتابه ، وبيان أن بكاءه وحزنه

(١)ديوان عبيد بن الأبرص ، ص/ ٥٦ ، شرح / أشرف أحمد عدره ، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

و ندبه له بعد الموت صار ذائعاً مشتهراً معروفاً وتلك الحال مناقضة تمام التناقض لحاله معه في حياته .

ومما جاء على هذا الأسلوب وتلك الطريقة أيضاً الاستفهام ومنه :

قول الله تعالى على لسان سيدنا سليمان : ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ (١)

فالمتأمل الاستفهام (مالى لا أرى الهدهد) يجد أنه مسلط على النفس حيث أنكر سيدنا سليمان – عليه السلام - على نفسه عدم رؤيته الهدهد ، بينما المراد الاستفهام عن لازم ذلك وقرينه وهو الإنكار على الهدهد عدم رؤيته .

والسر الكامن وراء هذا العدول والالتفاف الكنائي في التركيب ، ما في هذا الاستفهام من تلطف في محاولة لتبرير غياب الهدهد ، فكأنه يستفهم عن شيءٍ حصل له حال بينه وبين الرؤية ، على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك من الأعذار .

ومنه أيضاً : ما روى عن جابر بن سمرة – رضى الله عنه – قال : خرج علينا رسول الله - ﷺ - فقال : " مالي أراكم رافعى

(١)سورة النمل آية (٢٠) .

أيديكم كأنها أذناب خيل شمس اسكنوا في الصلاة " قال ثم خرج علينا فرآنا حِلَقا فقال : " مالى أراكم عزين " قال : ثم خرج علينا فقال : " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها "فقلنا يا رسول الله ! وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الأول ، ويتراصون في الصف " (١)

حيث جاء الاستفهام في قوله - ﷺ - : (مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شمس) ، وقوله : (مالي أراكم عزين) إنكاراً على رؤيته إياهم على تلك الأحوال من رفع الأيدي عند السلام ومن التفرق وعدم الاجتماع ، بينما المراد الإنكار عليهم كائنين على تلك الأحوال ومتلبسين بها ، وجاء الاستفهام على تلك الطريقة التماساً العذر لهم ، وكأن النبي - ﷺ - يقول لهم : لعل العذر من طرفي ، وذلك إنكم مجتمعون ، وإني أركم متفرقين ولو قال - ﷺ - (ما لكم متفرقين) لم يفد من المبالغة فائدته . (٢)

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الصلاة – باب الأمر بالتسوية في الصلاة ، والنهي عن الإشارة باليد ، ورفعها عند السلام ، وإتمام الصفوف الأول ، والتراص فيها ، و الأمر بالاجتماع رقم (٤٣٠) ١/ ٣٢٢ .

(٢)ينظر شرح الطيبي ٣ / ٤٦ .

الخاتمـــة

ذاك كان جهدي ، حاولت من خلاله تجلية نقطة في بحر هذه اللغة الطامى ألا وهي (النهي المراد منه النهي عن لازمه) للإبانة عمَّا يشتمل عليه من أسرار كامنة ، ودلالات خفية ، فتراكيب اللغة لؤلؤ مكنون بأصدافه ، و زهر مستور بأكمامه ، يحتاج لمن يفتش ليشق عنه هذى الأكمام ، وتلك الأصداف ، فيظهر جماله وخلابته ، ويملأ النفس سروراً وبهجة ، و يمكن إبراز أهم نتائج تلك الدراسة في النقاط الآتية :

١- النهي المراد منه النهي عن لازمه جاء كثيراً في كلام العرب شعره ونثره .

٢- النهي المراد منه النهي عن لازمه ورد في القرآن الكريم في مواطن متعددة ، وكان له دور كبير في إبراز المعنى المراد ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف .

٣- هذا اللون من النهي له صور متعددة يأتي عليها ، وقد حاول الباحث الكشف عن تلك الصور من خلال مباحث تلك الدراسة .

٤- مجيء النهي على هذه الصيغة التركيبية يضفى مزيداً من المبالغة والتأكيد على المعنى .

٥- النهي المراد منه النهي عن لازمه هو أحد الأساليب الكنائية .

٦- يشير النهي إذا جاء على تلك الهيئة التركيبية إلى خطورة الأمر المحذر منه (المنهي عنه) .

٧- إن هذا النهي يستلزم بطريق الكناية نهياً آخر هو لب القضية وجوهرها .

٨- في هذا التركيب الكنائي للنهي إيجاز بليغ لاشتماله على كثير من الأسرار الخفية والدلالات الكامنة التي تحتاج إلى روية وتمعن للوقوف عليها .

وبعد : فإني أسأل الله – عز وجل – أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل ودراسة هذا الموضوع ، كما أسأله –جل شأنه – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، والله من وراء القصد ، و هو حسبي ونعم والوكيل .

كما أسأله سبحانه الخير كل الخير لآبائنا ، وأمهاتنا ، وإخواننا ، وأخواتنا وأساتذتنا ، ومعلمينا ، ومشايخنا ، وأزواجنا، وذرياتنا ، وجميع من لهم حق علينا ، والمسلمين والمسلمات إنه سميع قريب مجيب .

" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد - ﷺ -.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للإمام / جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبى السعود لأبى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣- إعراب القرآن وبيانه ، المؤلف / محي الدين بن أحمد مصطفى درويش دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سوريا الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

٤- الانتصار للقرآن للمؤلف / محمد بن الطيب بن جعفر القاسم القاضي أبو بكر الباقلاني تحقيق / محمد عصام القضاه دار ابن حزم – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٥- الانتصاف للإمام / أحمد بن المنير السكندري مكتب الإعلام الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٦- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف / ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المحقق / محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

٧- البحر المحيط لأبى حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان بن أثير الدين الأندلسي ،المحقق / صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ .

٨- التحرير والتنوير ، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون – تونس .

٩- التذكرة الحمدونية ، لمحمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون ، أبو المعالي بهاء الدين البغدادي ، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

١٠- تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) المؤلف / عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي ، علق عليه ، وخرج آياته وأحاديثه / أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

١١- تفسير القرآن = تفسير المنار، للمؤلف / محمد رشيد بن على رضا محمد شمس الدين بهاء الدين بن منلا على خليفة القلمونى الحسينى، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢- تفسير المراغي ، للمؤلف / أحمد بن مصطفى المراغىمطبعة المصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

١٣- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبى عيسى محمد بن سورة تحقيق/أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

١٤- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك دار الفكر .

١٥- حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

١٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأبى العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي تحقيق د / أحمد محمد الخراط دار القلم – دمشق .

١٧- ديوان أبى نواس ، دار صادر – بيروت .

١٨- ديوان الحارث بن حلزة ، جمعه وحققه وشرحه د / إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

١٩- ديوان عبيد بن الأبرص ،شرح / أشرف أحمد عدرة دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٢٠- ديوان المتنبي ، المكتبة الثقافية ، بيروت – لبنان .

ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم / عباس عبد الستار دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الأولى،١٤١١هـ/١٩٩١م .

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للمؤلف / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق / على عبد الباري عطية ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٢٢- سنن أبى داود ، للإمام الحافظ المصنف المتقن / أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدي تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية – بيروت .

٢٣- شرح الطيبى على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للإمام / شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله

الطيبى ، تحقيق / أبو عبد الله محمد على سمك دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م

٢٤- شرح الكافية الشافية لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيانى أبو عبد الله جمال الدين تحقيق / عبد المنعم أحمد هريدي - جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، الطبعة الأولى .

٢٥- صحيح البخاري للإمام / أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

٢٦- صحيح مسلم للإمام الحافظ / أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق / محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٧- علم المعاني د / بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٢٨- عون المعبود شرح سنن أبى داود للعلامة / أبى الطيب شمس الحق العظيم آبادي مع تعليقات الحافظ / شمس الدين ابن قيم الجوزية خرج أحاديثه / عصام الصبابطى دار الحديث – القاهرة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٢٩- فتح القدير، لمحمد بن عبد الله الشوكاني ، دار ابن كثير – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٣٠- الفروق اللغوية ، المؤلف / الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكرى، المحقق / محمد إبراهيم سليم دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع .

٣١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام / جار الله محمود بن عمر الزمخشري مكتب الإعلام الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٣٢- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جني الموصلي وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، طبعة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

٣٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٣٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفى، لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود بن حافظ الدين النسفى تحقيق / يوسف على بديوى ، ومحي الدين ديب مستو دار الكلم الطيب – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

٣٥- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الشيخ / على بن سلطان محمد القاري المعروف بالملا على القاري دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

٣٦- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة / سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى، تحقيق د / عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٣٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ، تحقيق / مازن المبارك و أ / محمد على حمد الله دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٣٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، لأبى عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين التيمى الملقب بفخر الدين الرازى دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .

٣٩- المفردات في غريب القرآن، تأليف / أبى القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق وضبط / محمد سيد كيلاني دار المعرفة – بيروت .

٤٠- من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الحزابد / محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤١٦هـ /١٩٩٦م .

٤١- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبى العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي ، تحقيق د / خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ .

٤٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .

٤٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى، تحقيق د / عبد الحميد هنداوى المكتبة التوفيقية – مصر .